بعض الافتراضات لدراسة علاقة الإعلام بالحرب*

د/ نصر الدين لعياضي
أستاذ محاضر بجامعة عجمان
– الإمارات العربية المتحدة–

نعتقد أن النقاش حول دور وسائل الإعلام و مسؤولياتها الاجتماعية والأخلاقية في ظروف الأزمات والحروب لم يحتدم بعنفوان داخل قاعات التحرير، ووسط الاتحادات المهنية، وكليات الإعلام، مثلما احتدم بمناسبة الحرب الأخيرة على العراق. السبب لا يعود، في اعتقادنا، لضخامة عدد الصحافيين والفنيين (مصورين وغيرهم)، الذين تقاطروا على العراق والدول المجاورة: (الكويت، تركيا، قطر، المملكة العربية السعودية) لتغطية الحرب قبل اشتعال أتونها. لقد أكدت مختلف المصادر بأن عددهم قد زاد عن 2000صحافيا. وهذا العدد لا يقارن بعدد الصحافيين الذين غطوا بؤر التوتر المسلح السالفة في العالم. كما لا يعود، في نظرنا، إلى عدد الصحافيين الذين قضوا نحبهم في سبيل مهنتهم، لأن الحرب الأمريكية على فيتنام، مثلا، تركت وراءها 150 قتيلا من الصحافيين، بل يرتبط بتطور العلاقات بين مؤسسات الإعلام والحرب، وبالأسباب العلنية والمتسترة التي كانت وراء اندلاع هذه الأخيرة.

حدة هذا النقاش وثراؤه يملكان الفضل في " تبديد" بعض الأوهام عن وسائل الإعلام من جهة، وفي تقديم جملة من الملاحظات الأمبريقية التي نقلتها شهادات مراسلي الحرب، والتي تسمح للباحثين والمهتمين بصياغة فرضيات للبحث قصد إدراك عمق العلاقة القائمة بين وسائل الإعلام والحرب وتعقدها.

الفرضية الأولى: ما المسافة بين اليقين والو ؟

يؤكد النقاش المذكور على قلة المعلومات والصور التي نقلت الحرب داخل العراق قبل 9 مارس 2003. حيث يذكر أن كل العمليات العسكرية التي جرت في أرض المعركة ظلت بعيدة عن " نقافة" الصحافيين، وتم التستر على ما أنجر عنها من ضحايا وأسرى ودمار وخراب. هذا التأكيد يوحي ضمنيا بسيادة الإيمان المجهر به أو المسكوت عنه لدى الأوساط المهنية، وحتى الأكاديمية، بوسائل الإعلام التي يفترض أن تقدم إعلاما كاملا وشاملا وموضوعيا عن هذه الحرب، لأنها قدمت إعلاما تاما عن الحروب والنزاعات السابقة! لتبديد هذا الوهم يمكن أن نتساءل : ماذا شاهدنا عن الحرب العراقية- الإيرانية التي دامت سبع سنوات والتي أطلقت عليها تسمية "حرب الباصات"؟ لقد اكتسبت هذا الاسم لأن الجيش العراقي كان ينظم رحلات "بالباصات" للصحافيين ليشاهدوا الأسرى الإيرانيين. وكانت القوات العسكرية الإيرانية تنقل، بدورها، الصحافيين في "بصات" لتطلعهم على الأسرى العراقيين. الكل يعلم بأنه لم يكن باستطاعة الصحافيين الانتقال إلى أرض المعركة لنقل وقائع الحرب المدمرة، ومعاينة مآسي الحرب بكل أبعادها.

وماذا شاهدنا من الحروب التي تلتها: حرب الخليج الثانية، والحرب على أفغانستان، التي مازالت أحداثها حية في الذاكرة الفردية والجماعية، أمام إصرار الجيش الأمريكي وحركة الطالبان على حظر العمل الإعلامي الميداني؟ لقد دفع الأمريكيون والطالبان وسائل الإعلام، خاصة القنوات التلفزيونية، لالتقاط بعض الصور النمطية أو " الكليشيهات" " للدلالة على وجود حرب: صور طائرات تنطلق من البوارج البحرية، وطائرات تحوم في السماء وسط غمامة من الدخان، وصاروخ مضاد للطائرات يشق الظلام الدامس... ورجل يزي أفغاني يبتسم لمصوري وسائل الإعلام وهو يسلم ذقنه للحلاق، وجثة رجل مدني فلتت من عدسات الكاميرا، وهي ملقاة في الرصيف، دون أن ندري من كان وراء قتله... هذه الصور النمطية، البعيدة عن أتون الحرب، تحيل المشاهد إلى مدونته المرئية المبسطة، وتتركه يتخندق في أفكاره المسبقة وقناعاته، دون أن تثير لديه أي سؤال. باختصار إن تغطية

الحرب في أفغانستان كانت بمثابة وصف قطة سوداء في غرفة مظلمة على حد تعبير نائب رئيس القناة التلفزيونية الأمريكية Fox news channel (1)

من باب الدقة، يمكن القول أن هناك بعض الاستثناءات القليلة جدا، والمحدودة في الزمان والمكان، التي نجحت فيها وسائل الإعلام، بهذا القدر أو ذاك، في إبراز وجه الحرب، نذكر منها: الأيام الأولى من شن الحرب على أفغانستان، والسنوات الأخيرة من الحرب على الفيتنام.

ربما يعتقد البعض بأن التأكيد على قلة المعلومات عن الحرب على العراق يترجم عمليا المفارقة التالية: أمام ارتفاع عدد وسائل الإعلام وتزايد المنافسة المحتدة بينها، وتطور إمكانياتها التكنولوجية الخاصة بالسرعة في نقل الصورة والكلمة، ووتيرة تدفقها، وإمكانية رصد الأحداث بشكل أكثر مهنية، مازالت البشرية تعاني من فقر في المعلومات والأخبار عن الحرب.

الفرضية الثانية: هل تطور شكل التعامل مع وسائل الإعلام دون تغيير محتواه؟

"ابتدع" الجيش الأمريكي " علاقة جديدة " مع الصحافيين ووسائل الإعلام المختلفة، حيث قام بتجنيد" المندوبين الصحافيين و ألحقهم بوحداته العسكرية" في أرض المعركة (embedded). فلأول مرة في تاريخ وسائل الإعلام يلتحق حوالي 600 مندوب صحفي بقوات الحلفاء! بالفعل، لقد انتقدت بعض المنظمات المهنية هذا الإجراء، وعبرت عن مخاوفها من أن يشكل هذا الأمر مساسا خطيرا بالعمل الصحفي، إذا أن المندوب الصحافي " المجند" يلتزم خطيا باحترام خمسين بندا من الوثيقة التي تحدد حياته "الجديدة"، والتي تدور كلها حول عدم اختراق " السر العسكري"، شأنه في ذلك شأن أي جندي! إذ تنص البنود التالية: 41، و42، و43 من الوثيقة ذاتها على منع بث الصور عن الوحدات العسكرية بدون موافقة السلطات العسكرية الأمريكية.

لقد حاول بعض الصحافيين الذين عاشوا هذه التجربة أن يبددوا هذه المخاوف من خلال تأكيدهم على أن ما قاموا به يعتبر خطوة إيجابية في مجال التغطية الإخبارية في ظروف الحرب. ففي الحروب السابقة أبعد الصحافيون عن ساحة المعركة، و لم يكلفوا سوى بنقل

ما يصرح به جنرالات الحرب في الندوات الصحفية التي يعقدونها بانتظام، والتي كادت أن تحول وسائل الإعلام إلى مكبرات أصواتهم. الأمر اختلف في هذه الحرب، إذ يؤكد أحد الصحافيين الفرنسيين "المجندين" على ما يلي:" أنني نزلت إلى أرض المعركة، وشاهدت ماذا يجرى على مستوى إحدى الوحدات العسكرية التي انتقلت معها، واكتفيت بكتابة ما رأيت. ويؤكد مراسل إذاعة " فرنسا للأخبار" السيد كلود بريلو CLAUDE BRUILLOT من جهته: (ما نقلته عن الحرب انطلاقا من الوحدة العسكرية الأمريكية التي التحقت بها يعتبر جزئيا وغير كامل، لكنه حقيقي وواقعي".

إذا كان بعض مراسلي الحرب يعتبرون أن تجربتهم مع وحدات التحالف العسكرية تجسد تطورا في ممارسة المهنة أثناء الحروب، فإنهم يعانون من مشقة إقناع جمهور وسائل الإعلام " بالخطوة النوعية" التي قطعتها وسائل الإعلام في تغطية الحرب المذكورة، وذلك للأسباب التالية:

إن العساكر لا يوافقون، عادة، على نشر الصور سوى تلك التي تبرز انتصاراتهم. فالتاريخ، يكتبه دائما المنتصرون، وإذا لم يفعلوا فإنهم يحتجون، ربما بقوة، على كل من يحاول أن يكتبه بدون موافقتهم.

إن صيغة التعامل مع الصحافيين تغيرت في الشكل، لكن هل تغير مضمونها هو الأخر في ظل " محدودية" حرية تحرك الصحافي في أرض المعركة، و ضيق المساحة التي ينشط فيها، وأمام غياب إمكانية الاستعانة بمصادر إخبارية غير عسكرية؟

إن حرية التصرف في المادة الإعلامية التي يرسلها مراسلو الحرب تظل دائما في يد مسؤولي قاعة التحرير البعيدين عن حقائق الميدان. وحرية التصرف تعني في قاموس التعامل الإعلامي: إلغاء النشر أو البث، أو تأجيل بثه إلى غاية فقدان آنيته، وبالتالي أهميته، أو بترها أو إعادة صياغته وتلخيصه، وغيرها.

الفرضية الثالثة: ماذا تفعل وسائل الإعلام بالحرب أو ماذا تفعل الحرب بوسائل الإعلام؟

مازال النقاش الحاد حول العلاقة بين وسائل الإعلام والحرب مازال أسير الإشكالية القديمة والمتمثلة في (ماذا تفعل وسائل الإعلام بالحرب؟)

هذه الإشكالية المستهلكة التي أشبعت نقاشا توجه الأنظار إلى التغطية الإعلامية للحرب، وتبرز قصورها من جهة، وتغفل الجانب المتعلق بالتطورات التي عرفتها المؤسسات الإعلامية وأشكال تفاعلها أو تعاملها مع الواقع جراء الحروب والنزاعات المسلحة، ومن جهة أخرى. من جملة التبريرات التي تستخدم لإضفاء شرعية على "قصور" وسائل الإعلام في النزاعات المسلحة، نذكر مبررين ينطلقان من منطلقين مختلفين، لكنهما يتكاملان:

المبرر الأول:

يعتقد البعض بأن التعتيم الإعلامي على الحروب والنزاعات المسلحة يكاد أن يكون ضرورة ومسلمة: (لأن الجيوش تحرص على سرية الخطط والعمليات العسكرية، وعلى عدم تثبيط عزائم الجنود)(2) يستشف من هذا القول أن الجيوش لا تملك نية مبيتة لحرمان الجمهور من حقه في الإعلام، وإنما تسعى للتمسك بحقها الشرعي في حماية السر العسكري فقط! حجة من يعتقد بصحة هذا الرأي تتجلى في تغيير أساليب الجيوش وتطورها في التعامل مع الصحافيين أثناء النزاعات المسلحة. فالجيوش لم تعد تمنع الصحافيين من نقل أحداث الحرب، و لم تعد تتعامل مع وسائل الإعلام بأسلوب المقص، بل أصبحت توطرها. ففي هذا الصدد يقول العقيد الأمريكي تنغي Tangy مدير خدمة الصحافة بمندوبية الإعلام والاتصال العسكري الأمريكي: « أصبحنا نقيم بانتظام مراكز للصحافة في ميادين المعارك. الهدف من إقامة هذه المراكز هو أن نضع تحت تصرف الصحافيين المعلومات والأخبار بكل نزاهة. إننا ننطلق من المبدأ الذي ينص على أن من يتحدث باسم الجيش يجب أن يقول دائما الحقيقة. هذا لا يعني أنه يجب أن يقول كل الحقيقة» (3)

المحور الثاني:

يرى الباحث الفرنسي "أرموند ماتلار" بأن الاقتناع بقوة وسائل الإعلام ومقدرتها على "صناعة" الأحداث ومحوها برز في وقت مبكر جدا من تاريخ وسائل الاتصال الجماهيري، وقد وسعته الحرب أكثر. وقد نتج عن هذا الأمر إعطاء شرعية لمراقبة وسائل الإعلام. وهي الشرعية ذاتها التي تستخدمها السلطات المختصة لتبرير الإجراءات التي تتخذها للحد من نشاط وسائل الإعلام في كل نزاع مسلح، وهذا انطلاقا من الأحداث السالفة التي أثر فيها الرأي العام على مجرى العمليات العسكرية (4).

إذا يفهم من العنصرين السابقين أن الحرب أعطت الجيوش شرعية " التحكم" في وسائل الإعلام، فاستخدمتها سواء لإظهار هذا الحدث البارز في يوميات الحرب أو للتستر على ذاك الحدث، أو لسحب الأنظار عنه.(5)

غاية هذا التحكم في وسائل الإعلام لا تقف عند حد " غربلة الإخبار والمعلومات" بل تمتد للسيطرة على صورة الحرب في مخيال جمهور وسائل الإعلام، سواء بتحوير الأرضية التي يغطيها مفهوم الحرب، أو بإخفاء أهدافها وإظهارها بأنها ضرورية لبلوغ بعض المثل الإنسانية. ضمن هذا المسعى لتحقيق هذه السيطرة ظهرت المصطلحات التالية: الحرب النظيفة، الحرب الجراحية، الحرب من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان. وفي هذا الإطار تم تشخيص الحروب والنزاعات المسلحة، أي تم ربطها بأشخاص معينين: قادة سياسيين، رؤساء دول. إن هذا التشخيص يجنح نحو تفسير الحروب والنزاعات المسلحة بعوامل بعيدة عن الاقتصاد و الاجتماع والسياسية حيث تربط بسلوك أفراد محددين و بنزعاتهم الذاتية أو الموضوعية. وبهذا تقترب فصول الحرب والنزاعات المسلحة من أفلام " الوسترن Western التي يتصارع فيها " الكوبوي Cow boy الطيب مع الكوبوي الشرير (6).

وضمن هذا المسعى أيضا، يندرج، بشكل لا إرادي طبعا، إحضار " الخبراء العسكريين" في "بلاطوهات" القنوات التلفزيونية ليعلقوا على الأحداث ويعقبوا على المرسلات الصحفية التي " تصب" في الأستوديو: هذا الحضور الذي أوجدته رغبة القنوات التلفزيونية الجامحة والنزيهة في استخدام كل الإمكانيات لنقل وقائع الحرب وتفسير الإستراتيجية العسكرية

المستخدمة، انزلق، بفعل غياب الصور والمعلومات عن وقائع الحرب و تكرار المشاهد، إلى ما يشبه المقابلة الرياضية: لاعبون في الميدان، ومدربون أو فنيون يعلقون على المباراة في الأستوديو.* وهكذا انتقلت الحرب على الصعيد الرمزي إلى منافسة استعراضية وتمشهدية تمتص العناصر الدامية و اللا إنسانية ·· المجال للبعد الدرامي الذي يشحنه الترا والتعليق عليه.

إذا كانت المفاهيم المذكورة والأساليب المستخدمة عاجزة على تغيير صورة الحرب والنزاعات المسلحة وأهدافها في الوعي الجماعي، فوسائل الإعلام جاهزة "للوي" عنق الواقع مثلما حدث في تغطية أحداث رومانيا، حيث تم تنظيم " مسرحية" تيمشورا" ذات الفصل الواحد أمام كاميرا العالم: لقد تم استخراج جثث الموتى من المستشفيات ورصفت في قارعة الطريق وأظهرت بأنها من جرائم نظام شوشيسكو.

نعتقد أنه آن الأوان لطرح العلاقة بين الحرب ووسائل الإعلام من زاويا أخرى، منها: ماذا تفعل الحروب بوسائل الإعلام؟ يمكن لهذه الإشكالية، إذا أشبعت تمحيصا وتدقيقا، أن تسحب النقاش المذكور من حقل التبريرات وتضعه في أرضية المراجعة النقدية لما قامت به وسائل الإعلام في الحروب والنزاعات المسلحة، بغية ترقية العمل الإعلامي رغم الظروف الصعبة التي قد تؤدي بحياة الصحافيين. ولتفجر النقاش المتجدد حول علاقة وسائل الإعلام بالواقع (سواء في ظروف السلم أو الحرب)، وحول مسؤولية وسائل الإعلام الأخلاقية والأدبية، وحول معايير تقييم مصداقيتها.

الافتراض الرابع: من قال أن وسائل الإعلام تكتفي بنقل الأخبار في الحروب.

إن الإشارة الملحة إلى نقص الأخبار عن الحرب على العراق ينم على اعتقاد يعتبر صادقا لدى البعض، وساذجا لدى البعض الأخر، مفاده بأن وظائف وسائل الإعلام تظل ذاتها بصرف النظر عن السياق الذي تنشط فيه. أي أنها الوظائف التي تقود نشاط وسائل الإعلام تظل ذاتها سواء في ظروف الحرب أو سياق السلم. محاولة الانفلات من وطأة هذا الاعتقاد لا يجب أن تفهم على أنها مباركة لما تقوم به وسائل الإعلام، بل يجب أن تدرك

على أنها توصيفا لتحارب سابقة. ألم يقال في السابق أن الدعاية هي البنت الشرعية للحروب. يؤكد المؤرخون بأن الحرب العالمية الأولى هي التي أوجدت الدعاية،والتي يحددها التعريف المبدئي التالي: (مجمل النشاطات والأعمال التي تقوم بها الحكومة للتأثير على الرأي العام وعلى المواطنين)(7) وقد تطور هذا المفهوم في الحرب العالمية الثانية ليصبح مرادفا للحرب النفسية والتي تتضمن عملياته لتضليل (Désinformation) والإشاعات ونشر الأخبار الكاذبة وسوء الإعلام Mésinformation (8) لقد غيرت الحروب أدوار وسائل الإعلام حيث دفعتها للجنوح نحو الدعاية أكثر من الإعلام. هل يمكن القول أن وسائل الإعلام التابعة للدول المتورطة في الحرب أو التي تشكل طرفا فيها قد سعت للوقوف ضد هذا الجنوح، ونجحت في ذلك؟

الأمثلة التي تثبت هذا النجاح قليلة جدا، مع الأسف. إن الجريدة الفرنسية الساخرة « Le canard enchaîné » التي اكتسبت شهرة كبيرة ولدت للتعبير عن رفض الدعاية الحربية و الرقابة المسلطة على الصحافة.

لقد زودت الحروب الجمهور بدرس أساسي، يتمثل فيما يلي: إن الكثير من وسائل الإعلام تقفز بخفة شديدة على الخط الفاصل بين الإعلام والدعاية والذي من الممكن أن يتلاشى إذا اشتدت أهوال الحروب.

إذا يجب التفكير في أنفع الأشكال وأكثرها جدوى للوقوف ضد تحويل وسائل الإعلام إلى أجهزة طيعة في الحرب النفسية أثناء النزاعات المسلحة، بدل الاستكانة للتبريرات التي تطرقنا إليها في إشكالية "ماذا تفعل وسائل الإعلام بالحرب". نعتقد أن الشكل الأول يتمثل في تنويع مصادر الأخبار وتفضيل تلك المحايدة. وإذا لم يتسن الوصول إلى المصادر المحايدة، لابد من التأكيد على المصدر الذي استمدت منه الأخبار. هذا التأكيد يخاطب الجمهور، بشكل صريح أو ضمني، ويلفت نظرهم إلى ضرورة التعامل مع هذه الأخبار بحذر أو وضعها بين قوسين.

الشكل الثاني، يتمثل في تقديم محددات الأخبار والصور. لقد بينت الكثير من النزاعات المسلحة بأن الكثير من الصور التلفزيونية التي تتدفق بغزارة لا تعين المكان ولا تحدد الزمان

ولا السياق الذي أنتجت فيه، إنها تطفح فقط في شاشات التلفزيون لتتلاعب بمشاعر المشاهدين دون أن تعلمهم. صور صالحة للاستهلاك دون أن تنتهي مدة صلاحيتها، ترسم مشاهد الحرب كما يريدها العسكريون أن تكون وليس كما تجري في الواقع.

الافتراض الخامس: الحرب على المحتوى الإعلامي وعلى قالبه.

يؤكد المؤرخون بأن النزاعات المسلحة قد أسهمت بشكل واضح في بروز الربورتاج الصحفي وتطوره. لقد شكلت الحرب الروسية اليابانية التي جرت في السنتين التاليتين: 1904و1905 مرحلة مهمة في تطور الربورتاج، لكن الحرب العالمية الأولى (1914-1918) فرضت هذا النوع الصحفي ورسخته كجنس مميز في نقل الحروب والنزعات المسلحة. إن نقل الحروب والنزاعات المسلحة التي جرت في العقد الأخير أكدت على حقيقة مغايرة تتمثل في تراجع مكانة الربورتاج، خاصة في القنوات التلفزيونية. إن البث التلفزيوني المباشر للحروب حل محل هذا النوع الصحفي في الجرائد المصورة. إن النقل المباشر يجسد التطابق بين زمن الفعل (حدوث الفعل) وزمن التلفظ (الحكي أو الوصف) والبث أو التوزيع (9) هذا التطابق بين الزمنيين يجعل الأحداث، والتفاصيل، تنساب من يد الصحفي دون أن يعي دلالاتها. وذلك لأن إدراك أهمية ما جرى وسرده يشترط الرجوع إلى مرحلتين أو حدثين منفصلين في الزمن ومتميزين على الأقل. (10)

رغم اللهث وراء متابعة الأحداث أو مرافقة حدوثها تلفزيونيا عبر النقل المباشر إلا أن عائدها الإعلامي يعد قليلا جدا، وذلك لأن محدودية مكان التنقل للوصف والإرسال، وضغط الوقت الذي لا يتيح أي هامش للابتعاد عن الحدث ورؤيته من بعد، كلها عوامل تؤثر سلبا في وظيفة النقل المباشر الإخبارية. إن هذا النوع من النقل التلفزيوني يخدم غاية واحدة: الاستعراض والتمشهد، وخلق الإحساس الخادع بالمشاركة في الحدث لدى جمهور المشاهدين.

تؤكد التغطية الإعلامية للحروب والنزاعات التي جرت في مطلع القرن الماضي الانقلاب الذي حدث في الصحافة في العديد من الدول الأوروبية. لقد كانت الصحف في تلك

الأثناء تولي أهمية للأفكار والآراء أكثر من الأخبار، فجاء الروبرتاج ليجرها للانتباه أكثر بالأحداث وتفاصيلها والاحتفاء بها. إن النقل المباشر لوقائع الحروب في العقد الأخير يندرج ضمن منظور أداء الوظيفة الإخبارية بأقصى سرعة، ووفق متطلبات الآنية، دون التساؤل والبحث عن خلفيات الأحداث والوقائع. لقد مضى ردحا من الزمن على إنزال قوات المارينز بالصومال، و لم تبخل العديد من القنوات التلفزيونية بنقل وقائعه، بشكل مباشر علي شاشات التلفزيون. لكنها لم تلتفت للسؤال التالي، وبالتالي أبعدت المشاهد عن التفكير فيه من خلال قصفه بسيل من الصور المرمّلة التي تجتير " كليشهات": لماذا تم الإنزال بالصومال؟ قد يقول البعض أن القوات الأمريكية كانت ترغب في إنقاذ سكان هذا البلد من المجاعة بعد أن طحنتهم حرب المليشيات. لكن لماذا الصومال وليست " أثيوبيا"، البلد المجاور الذي لم تتوقف المجاعة عن تهديده؟ لماذا الصومال بالذات وليست ليبيريا أو الكونغو المهددان بالفناء جراء الحروب الطائفية والمجاعة والأمراض الفتاكة؟ إن هاجس الصحافيين في النقل المباشر يقتصر على إظهار ما يجري على الشاشة ليتابعه الجمهور وليس استيعاب معنى ما يجرى لإفهام الجمهور حتى يدرك حقيقته.

الافتراض السادس: الحرب وانقلاب مهام وسائل الإعلام

يبدو أن الحروب قد أعادت النظر في موقع وسائل الإعلام وفي التوزيع الكلاسيكي لأدوارها ووظائفها. كان الاعتقاد راسخا بأن الصحف تتميز بمقدرتها على تحليل الأحداث والتعليق عليها، والإذاعة تنفرد بمقدرتها على تقديم الشهادات الحية والموثقة، أما التلفزيون فيتفوق بإمكانياته في بث ما يشحن العواطف والوجدان. إن الحرب على العراق الأخيرة أكدت بأن الوسيلة الإعلامية الواحدة تحاول أن تقوم بكل الوظائف التي كانت تقوم بها وسائل الإعلام مجتمعة في السابق. لقد أصدرت بعض الصحف العربية طبعة مسائية إضافية لطبعتها الصباحية، في محاولة منها للحاق بتسارع الأخبار عن الأحداث المتدافعة. واستغنت القنوات التلفزيونية، مضطرة، على الصورة الآتية من أرض المعركة لتعوضها بالصورة الصوتية. نعتقد أن أكبر ضحايا الحرب على العراق هو القنوات

التلفزيونية. لقد تراجعت مكانة الصورة، وفي تراجعها حولت العديد من القنوات التلفزيونية إلى إذاعات مصورة! إن منطق المنافسة، و الإرسال المباشر، واللهث وراء المستجدات، كل هذه العوامل لم تدفع وسائل الإعلام إلى إبراز الأحداث، بل جرتها لتجاوزها. هذا المنطق لم يرحم المراسل التلفزيوني الذي بقى أسير بعض الأمتار في الفندق. يتحدث ويتحدث انطلاقا مما يرى ويسمع في الفندق، حتى وإن كان حديثه لا يتضمن أي عنصر إخباري جديد. المهم أن يتحدث حتى وإن كان يقدم مجرد إشاعات و"تخمينات" لا غير. في خضم الحديث قد يتزلق الصحافي من موقعه كناقل أخبار ويصبح محللا عسكريا أو استراتيجيا. هكذا تتبدل الأدوار،" فالعسكري" يتقمص دور الصحافي في الندوات الصحفية وفي استوديوهات التلفزيون، والصحافي، المراسل الحربي، يتحول إلى خبير عسكري أو قائد عسكري! هل هذا منطق إعلام الحرب أو منطق الحرب على الإعلام؟

المراجع والإحالات:

*صيغت هذه الفرضيات قبل سقوط نظام الرئيس صدام حسين يوم 9-04-2004، وقدمت في ندوة نظمتها كلية الإعلام والعلاقات العامة بجامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا بدولة الإمارات العربية، تحت عنوان: " وسائل الإعلام والحرب"

* إن الإصرار على تحريف صورة الحرب في وعي الناس، وتشبيهها بلعبة مسلية، يندرج ضمن استراتيجية الحرب. فالكل لاحظ في الحرب الأخيرة على العراق بأن صور قادة النظام العراقي البائد: العسكريون والسياسيون المطلوبون لدى القوات الأمريكية قد طبعت على أوراق اللعب.

1 -Tomas Sanction : Les médias américains dans la guerre, le Monde, 30 novembre 2001

2- هذا ما تؤكده العديد من الصحف التي غطت النزاعات المسلحة في العالم. أنظر على سبيل المثال ما كتبته صحيفة Le Monde عن الحرب على أفغانستان- المصدر ذاته

3- Laetitia Msller : Journalistes et militaires : une histoire de conflits...actualité médias n°16 vendredi 7 février 2003

4- Armand mattelard : information,desinformation, censure: logiques millitaires, logiques economiques, Universalis 1992

5- يمكن أن نذكر، على سبيل المثال، بأن قوات الحلفاء لم تمنع وسائل الإعلام من تغطية أعمال النهب والسرقة والحريق التي جرت بعد سقوط النظام في العراق، بل "تواطأت" مع بعض وسائل الإعلام " الطيعة" لا لإظهارها بل لسحب الأنظار عن ما جرى في مطار بغداد، والذي تحول إلى لغز. مازالت القوات الأمريكية تمنع الصحافيين من الاقتراب منه، وتتحاشى الحديث عنه في اللقاءات الإعلامية التي تجمعها بالصحافة الدولية. وربما أيضا لسحب الأنظار عن " ذوبان" الجيش العراقي في الطبيعة كذوبان قطعة سكر في كأس ماء.

لعل المثال الأكثر وضوحا في هذا المجال يتمثل في غزو "قوات المارينز لبناما في الوقت ذاته الذي جرت فيه أحداث رومانيا و أدت إلى مصرع الرئيس الروماني "شوشيسكو". فرغم

أن عدد ضحايا هذا الغزو بلغ ضعفي عدد ضحايا أحداث رومانيا إلا أنه لا أحد تحدث عن المجازر الشنيعة التي ارتكبت في هذا البلد. والسبب واضح لقد فرضت الولايات المتحدة الأمريكية تعتيما إعلاميا محكما على هذا الغزو، وبالمقابل قامت وسائل الإعلام العالمية بتهويل الرأي العام بخصوص ما جرى في رومانيا، وبالغت فيه بطرق لا أخلاقية ولا مهنية. فإظهار ما جرى في رومانيا، بنوع من التهويل، تم من أجل إخفاء المجازر التي ارتكبتها قوات المارينز في بناما.

6- http://www.freeflights.net/carl1/attmedia.htm
7-http://www. Hachette. Multimédia / Hachette Livre

يقصد المختصون بالتضليل الإعلامي La désinformation بأنه كل إعلام كاذب، محرف ومزور عن وعي. ويدل على عملية ظرفية أو منتظمة لكنها قصدية ومبرمجة. أما سوء الإعلام La mésinformation فيقصد به نقص في الإعلام أو تقديم أخبار رديئة. اصل سوء الإعلام يكمن في الجهل بما هو الإعلام أو عدم الدراية المهنية أو التضليل. يمارس سوء الإعلام وينتشر في وسائل الإعلام وفق نموذج كرة الثلج التي يتضخم حجمها بتدحرجها، لكن القصد من سوء الإعلام ليس الكذب أو إلحاق الضرر.

نقلا عن:

Alexandra Viatteau :Comment voir le monde ? wwww.diploweb.com Géopolitique

9- Jocelyne Arcquembourg: L'événement en direct et en contenu, l'exemple de la guerre du golf, Réseaux n 76 -1996
10- Idem